كلية : الآداب

القسم او الفرع : اللغة العربية

المرحلة: الثانية

أستاذ المادة : د. خالد محمد ياسين

اسم المادة بالغة العربية : الكتاب القديم

اسم المادة باللغة الإنكليزية : old book

اسم المحاضرة الثامنة باللغة العربية: الخط والعقد

اسم المحاضرة الثامنة باللغة الإنكليزية: Line and knot

الخط والعقد :

الخط:

فأما الخط ، فمما ذكر الله عزّ وجلّ في كتابه من فضيلة الخط والإنعام بمنافع الكتاب، قوله لنبيه (أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِى عَلَّمَ بالقلم * علم الإنسَانَ مَا لَمْ يعلم).

وأقسم به في كتابه المنزل، على نبيه المرسل، حيث قال: (ن * والقلم وما يسطرون)، ولذلك قالوا: القلم أحد اللسانين. كما قالوا قلة العيال أحد اليسارين. وقالوا: القلم أبقى أثراً، واللسان أكثر هذراً.

وقال عبد الرحمن بن كيسان: استعمال القلم أجدر أن يحض الذهن على تصحيح الكتاب، من استعمال اللسان على تصحيح الكلام .

وقالوا : اللسان مقصور على القريب الحاضر، والقلم مطلق في الشاهد والغائب، وهو للغابر الحائن، مثله للقائم الراهن.

والكتاب يقرأ بكل مكان، ويُدرس في كل زمان, واللسان لا يعدو سامعه، ولا يتجاوزه إلى غيره.

أن هذه الوسيلة لا تعني عند الجاحظ الكتابة اليدوية فقط بل أنها تشمل كل ما اصطنعه الإنسان من وسائل (خطية) تدرك بواسطة العين في حدود سطح المكان - سواء كانت بواسطة القلم أو بغيره - لإقامة حياته الاجتماعية التي لا يمكنها أن تستغني عن هذه الإشارات والعلامات المكتوبة أو المنقوشة والمحفورة .

ومهما اختلفت وسائل العلامة ثم تباينت تبعا لهذا الاختلاف اشكالها فإن جوهرها يظل واحدا أنه إشارة تعتمد على الشكل المصور الذي يدرك بواسطة العين ضمن سطح المكان .

لقد استعاض الإنسان عن لغة الكلام بلغة الخط حتى يتحرر من ربقة الحاضر ليتم التواصل بين الأفراد والمجموعات عبر الماضي والحاضر والمستقبل بشكل أكثر غزارة واتساعاً وتنوعاً مما لا تتيحه لهم عملية الكلام المعتمدة على الصورة الصوتية.

ونستخلص من هذا أن الكتابة أو الخط عند الجاحظ تعتبر لغة. وحين يقر الباحث بأن الكتابة عند الجاحظ لغة فإنه لابد أن يقيم الدليل الواضح على انها قد اتخذت لدى هذا العالم صفة النظام أي أنه عبر بشكل مباشر عن إدراكه ووعيه بأن الكتابة نظام ذو صورة مرئية شبيه بنظام اللغة ذي الصورة الصوتية.

العقد:

وأما القول في العقد، وهو الحساب دون اللفظ والخط، فالدليل على فضيلته، وعظم قدر الانتفاع به قول الله عز وجل: (فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) و قال جل وتقدس: (الرَّحْمَنُ * عَلَمَ القَرْءَانَ * خَلَقَ الإنسان * علمه البيان * الشَّمْسُ والقمر حسبان). وقال جل وعز: (هُوَ الَّذِي جَعَل الشَّمْسَ ضِياء والقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السنيين والحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ بفضل الآيات لقوم يعلمون).

وقال تعالى: (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ايْتينِ فَمحَونَا اية اللَّيلِ وَجَعَلْنَا آية ا النَّهارِ مُصِرَةٌ لتبتغوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السنِينَ وَالْحِسَابَ).

والحساب يشتمل على معان كثيرة ومنافع جليلة، ولولا معرفة العباد بمعنى الحساب في الدنيا ما فهموا عن الله عز وجل معنى الحساب في الآخرة. وفي عدم اللفظ، وفساد الخط، والجهل بالعقد فَسادُ جُل النعم، وفقدان جمهور المنافع، واختلال كلّ ما جعله الله عز وجل لنا قواماً، ومصلحة ونظاماً.

والعقد هو الوسيلة الرابعة من وسائل البيان عند الجاحظ وقد اضطرب بعض الباحثين في تحديد مفهومه فذهب إلى أنه الحساب بصفة عامة ونشأ عن هذا المذهب عدم فهم هذه الوسيلة البيانية المستقلة بنفسها وخلط بينها وبين غيرها من الوسائل التي تشترك معها في القيام بالعملية الحسابية.

والحقيقة أن العقد ضرب خاص من الحساب وليس كل حساب لأنه يتم بأصابع اليدين كما نص على ذلك الجاحظ بشكل غير مباشر قائلاً: "وأما القول في العقد، وهو الحساب دون اللفظ والخط....".

اما الوسيلة الأولى: فغير خارجة عن لغة الكلام ما دمنا نعتمد فيها لإقامة الحساب وإظهاره على المادة الصوتية.

والوسيلة الثانية: التي تتم بها عمليات الحساب والتعامل بين الناس في شؤونهم التجارية والاقتصادية هي الخط أو الكتابة إذ بفضل ضبط عمليات التعامل وكتابتها يتم اطمئنان الفرد من افراد المجتمع على صحة تعامله وسلامة تجارته .

الوسيلة الثالثة: من وسائل الحساب أصابع اليد التي تتم بها عملياته المختلفة وهذا ما تؤكده عبارة الجاحظ ذكرها في معرض حديثه عن منافع اليد قائلاً " .. ثم حظها في العقد..." أي أن اليد هي وسيلة الحساب بالعقد. ومما يزيد هذا التأكيد وضوحاً تداول عبارة ((عقد الأصابع)) لدى بعض القدماء ودورانها على السنتهم وفي كتبهم وهم يقصدون بها الحساب الذي يتم بواسطة اليدين كنحو ما وردت عند البغدادي حيث قال " واعلم أن العقود والعقد نوع من الحساب يكون بأصابع اليدين يقال له: حساب اليد" ولعل في قوله هذا ما لا يدع مجـ مجالاً للخلط بينه وبين الحساب بصفة عامة.

إن أبا عثمان قد أدرك ريما بحدوث خلط بين الوسيلتين وأشار إلى وجوب انفصالهما قائلا" وقد اضطربوا في الحكم بين العقد والإشارة ..." لكنه اعتذر عن عدم ذكر الفروق بينهما بأن مغزاه في كتاب الحيوان ليس في هذا الباب من القول.

انه لم يتحدث عن العقد باعتباره وسيلة بيانية ذات نظام وانساق ووحدات بقدر ما تحدث عن منافعه وهي منافع تعم الحساب ولا تخص العقد فقط، ولكن تلميح الجاحظ المتعلق بحساب الأصابع يجعل

الباحث يميز بينه وبين الإشارة ولو بشكل سطحي بسيط، يقول " فجعل (الله) اللفظ للسامع وجعل الإشارة للناظر وأشرك الناظر واللامس في معرفة العقد إلا بما فضل الله به نصيب الناظر في ذلك على قدر نصيب اللامس.

ومعنى هذا أن الإشارة تصدر عن بعض جوارح الإنسان تدرك وتتلقى بالعين في حين أن العقد الذي يتم بأصابع اليدين يدرك بالرؤية واللمس أي أن جهازه الإدراكي يختلف عن جهاز إدراك الإشارة فيصح تبعاً لهذا أن نعتبر العقد وسيلة بيانية تتجه نحو والرائي وغير الرائي من بني البشر أي أنه يشترك فيها البصير والأعمـى.

ولذلك فالحساب بعقد الأصابع يستعيض به الجاهل للحساب باللفظ والخط وكذا الأعمى عما يمكن أن يفتقر إليه لقضاء حاجاتهما اليومية التي لا يمكنها إطلاقا أن تستغنى عن الحساب.

أن الجاحظ وضح في حديثه الموجز عن العقد أنه وسيلة تواصل بين الأفراد لإقامة الحساب بينهم بواسطة أصابع اليدين ويدرك هذا العقد باللمس والرؤية ومعناه أن له جهازاً تواصليا أداته المرسلة للخطاب أصابع اليدين وأداته المتلقية لهذا الخطاب الرؤية واللمس ثم ان دلالات العقد لاشك هي التقديرات الحسابية المختلفة التي يتصورها محرك أصابع اليدين ويقوم بإنجازها فيتلقاها اللامس أو الرائي باعتبارها دلالات تحل محل الأرقام في حساب الخط أو اللفظ وتكون هذه الدلالات غنية ومتنوعة بحسب اختلاف أنواع الحركة الصادرة من أصابع اليدين وتشكلها أو تركيبها وفي تنوع الخطابات أيضاً .